

منى جميات - جامعة تيارت - الجزائر  
محمد الغزالي بن يظو - جامعة تيارت - الجزائر



## تيمت الوكني في الرواية الجزائرية المعاصرة مقاربة سميائية لرواية وكني من زجاج لياسمينية صالح\*



### الملخص

تتناول هذا المداخلة موضوع دلالة الوطن في الرواية الجزائرية وهو قراءة في رواية وطن من زجاج لياسمينية صالح، والتي تُعد من بين رواد الجيل الجديد في كتابة الرواية في الجزائر، ولعل اختيارنا لهذه الكتابة بالذات راجع لكونها تُعطي لموضوع الوطن أهمية خاصة بحيث تُركز عليه، وتجعل منه محورا أساسيا في اغلب رواياتها، وقد حاولنا أن تكون قراءتنا لهذه الرواية قراءة دلالية تعتمد على تجلي المعاني الدلالية التي تنبثق من توظيف الكتابة للوطن وقد وجدنا أن رواية وطن من زجاج تستثمر الوطن كموضوع وملفوظ ما يجعل اللغة تُحقق أهدافها الدلالية.

### الكلمات المفتاحية

الوطن، الرواية الجزائرية المعاصرة، سميائية، مقارنة، ياسمينية صالح، رواية وطن من زجاج.

### Abstract

*This intervention examines the subject of significance homeland in the Algerian novel which is read in a novel (watan men zojaj) to Yasmina saleh, which is among the pioneers of the new generation in the writing of novel in Algeria, and perhaps our choice for this writer in particular see as they give to the subject of Motherland is particularly important to focus upon, and make it a major focus in the bulk most of her novels, we have tried to be reading this novel to read semantic depends on the manifestation of semantic meanings that emerge from hiring the writer to the homeland and we have found that the novel is investing tons of (watan men zojaj) as a theme and uttered what makes language semantic achieve its goals.*

## تمهيد

يمثل الوطن شيئا غاية في الأهمية؛ إذ هو رمز للوجود الإنساني وعلامة على الانتماء الحضاري والفكري، وهو جزء من كيان الإنسان الذي يؤسس علاقته بهذا الوطن لا على اعتباره مكان ومحل للإقامة، فحسب بل على اعتباره قيمة شعورية ونفسية وفضاء تنساب فيه شحنة الانفعالية والوجدانية لتعبر عن التحامه وتوحده فيه، ولاشك أن الحديث عن علاقة الأدب بموضوع الوطن سيحمل ميزة فريدة من نوعه خصوصا، إذا كان الأدب الذي نتحدث عليه هو الأدب الجزائري؛ ذلك أن المحنة التي مرت بها الجزائر قد جعلت من الكاتب يلتفت نحو وطنه ليكتب عنه، ويسرد تفاصيل انكساره ووجعه، وما هذا إلا ليعبر عن تعلقه الشديد "بفتنة الوطن ومأساته التي تُشكل قدره" (01).

## بين الوطن والوطنية

مما لاشك فيه أن الولوج إلى تحليل قضية من القضايا النقدية، ومحاولة إسقاطها على النص الأدبي أيا كان انتماؤه لا تتم بشكل منهجي دقيق، إلا إذا كان الكلام سابقا لمعرفة المفاهيم الاصطلاحية في ماهيتها وخصوصيتها، وفي القواعد النظرية التي أرست معالمها؛ فالحديث عن وجود الوطن بوصفه تيمة حاضرة في نص روائي لا بد له أن يعتمد على فهم حقيقة لفظة (الوطن) أولا وتتبع ما يخالجه من تداخلات واشتقاقات لفظية تساعد القارئ على الفهم الدقيق للمعنى.

وردت لفظة (الوطن) في القاموس المحيط إذ جاء معناها "الْوَطَنُ، مُحرَّكَةٌ وِيسْكَنُ: منزل الإقامة، ومَرْبُطُ الغنم والبَقَر. ج: أوطان. ووَطَنٌ به يَطْنُ وأُوطُن: أقام. وأُوطَنه ووَطَّنَه وأستوَطَّنَه: اتخذه وطنا. ومواطن مَكَّةَ موافقها. ومن الحرب مشاهدتها. وتوطن النَّفس تمهيدا" (02)، وكذلك هو الأمر في المعجم الوسيط الذي ورد فيه لفظ الوطن بالشكل التالي "الوطن: مكانة إقامة الإنسان ومقره، وإليه انتماؤه وُلد به أم لم يُولد" (03)، فهذه المعاني تؤكد على أن مصطلح الوطن هو مصطلح دال على المكان أو محل للإقامة؛ أي أنه معطى مادي يرتبط في أغلبه بالإنسان -وإن كان ارتباطها بغير الإنسان شيئا محتملا- ويمثل مقر إقامته وتواجده الدائم، غير أن ما نلاحظه من خلال المعاني الواردة في المعاجم القديمة كانت أم الحديثة هو إغفال لمصطلح الوطنية التي تأتي من بين الاشتقاقات الكثيرة لكلمة الوطن.

ونعلم كلنا أن هناك فرق بين المصطلحين؛ فإذا كنا قد فهمنا معنى الوطن من خلال ما جاء في المعاجم، فإن لفظة الوطنية تختلف تماما عنه؛ لأن هذه الأخيرة هي -بالأساس- صفة تحتمل الانتماء الشعوري والوجداني قبل الانتماء المادي؛ لأنها تعتمد على ارتباط الإنسان بقضايا وطنه شعوريا وأخلاقيا، ليصبح ما يجمع بينهما ليس المكان فقط بل



لئيفاجي القارئ الذي يصطدم منذ الوهلة الأولى بعنوان يحمل ملفوظ الوطن لكن بدلالات تزيد في غموض إدراكه وتشويش فكره، ولما كانت العتبات النصية نقطة محورية في دراسة أي نص حيث تلتقي فيها الوظيفة الجمالية والوظيفة التواصلية الإبداعية، وهي من ثمة مهمة في قراءة النص حيث تفتح على "احتمالات دلالية تفتح للقارئ أفق انتظار، إما للمساءلة أو لإعادة فهم منطق الحكاية بما يكتف لحظاتها ويحدد محكياتها" (06). فإن قراءتنا لدلالة الوطن في رواية وطن من زجاج سيبدأ من تحليل عتبات العنوان، والإهداء ومرورا بالمتن السردي على أن تحليلنا هذا، وإن كان في شكله المنهجي يعتمد على رصد وجود الوطن في الرواية موضوع البحث، إلا أن الغرض منه هو الكشف عن المنحى الدلالي لوجود الوطن في الرواية.

### 1. عتبة العنوان

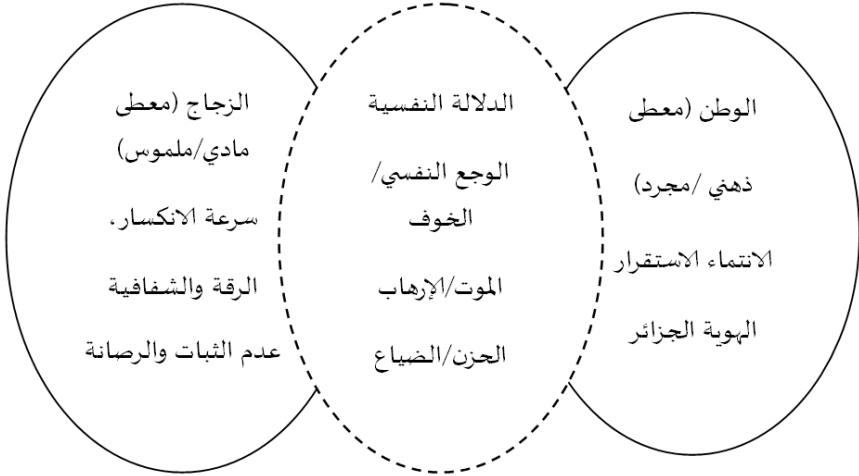
يُعد العنوان من المحاور الأولى التي ينبني عليها النص الأدبي، وفاتحة نصية تتولد عنها "بنية دلالية مستقلة لها اشتغالها الدلالي بأبعادها المختلفة" (07)، وانطلاقا منه يبني القارئ فكرته عن هذا النص ويوجه ذهنه نحو نوع من التلقي، والمتأمل لرواية (وطن من زجاج) سيجد بأن الكاتبة قد صاغت العنوان بتركيب لغوي يشف عن طاقة إيحائية، وكثافة رمزية؛ ذلك أن اختيار الكاتبة عنوانا لروايتها يحمل اسم (وطن من زجاج) يجعل من القارئ يثير جملة من التساؤلات والإشكالات تحرك خياله، وتدعوه للبحث في طاقة الكلمة ودلالاتها، إذ كيف لنا أن نتصور (الوطن) بكل مفاهيمه ومعانيه التي لا تكاد تغادر تفكيرنا الذهني والتي جرت العادة على جعلها تحمل معاني الانتماء والاستقرار، ومكان الوجود الأصلي أن تجتمع مع (الزجاج) ذلك الشيء المادي الملموس.

فأي علاقة تربط بين الوطن والزجاج؟ وما الشيء الذي يجعل الوطن يجتمع في تركيب لغوي واحد مع الزجاج؟

إن الجمع بين الوطن الشيء الحسي المجرد بالزجاج الشيء المادي والمرئي في تركيب لغوي واحد، لا يتم إلا على أساس اعتبار الوطن من الناحية الدلالية، يلتقي بالزجاج لتجسيد تلك الصفات التي توحى بعدم الثبات والانكسار وشدة الرقة والشفافية، فالكاتبة قد أعطت للفظة الوطن بُعدا رمزيا ينبني على حمولة دلالية ونفسية "تبدو الدلالة في الغالب في شكل بنيات نفسية، واديولوجية واجتماعية ضمن سلسلة العلاقات اللغوية والرمزية التي تحمل أكثر من معنى على اعتبار التأويلات المحتملة" (08).

ليظهر لنا الوطن وهو يحمل الدلالة التالية :

العنوان (وطن من زجاج)



فالوطن حين يحمل صفات الزجاج الحقيقية؛ فإنه سيقترن ذلك الشعور الإنساني والتوتر النفسي المفعم بالقلق، والخوف والحيرة من الواقع الذي يجعل من إحساس الإنسان اتجاه وطنه مبعثراً، ومشتتاً لأنه يزرع بداخله الغيبة، والانهزام، والانكسار وحينها "تبدأ في داخل المتلقي عملية تفاعل وصراع وانزياحات مفهومية، وتتنصر فيها إدراكات وتأويلات على غيرها، وتراجع تأويلات واحتمالات لصالح غيرها من خلال تفاعل متبادل يظل فيه العنوان مرسلًا لأضوائه التي زودنا بها في البداية" (09)، وهنا تنعكس الرؤية لدى القارئ نحو النص.

2. عتبة الإهداء

يمثل الإهداء عتبة مهمة من عتبات النص، فوجوده في النص الأدبي ليس عابراً أو مجرد إضافة تُعبر عن شخصية المؤلف، بل إن الإهداء يحمل خصوصية وظيفية تنبئ على قصيدة معينة تتوجه نحو بناء دلالات عديدة، وأهميته نابعة من قدرته على تزويد الرسالة الإبلاغية بوظائف تتنوع بين ما هو دلالي وما هو تداولي ليصبح الإهداء بهذا المعنى جزءاً أساسياً من العملية التواصلية" (10).

تقول ياسمينه صالح في إهدائها:

"حين نستيقظ صباحاً ولا نجد وطننا نتكى عليه نكتشف حدة اليتم والفراغ المهول الذي نجره يومياً في عمرنا الجاهز للانكسار. واليتم... واللا أمل... إلى كل الذين يعتقدون أن حزنهم أرفع من خيبتهم الكثيرة. أرفع من سوء الطالع الذي يترى بهم في مسيرة البحث عن وطن لا يسكنه القتلة... ولا الطواغيت!

إلى الذين رحلوا تاركين ذاكرتهم معنا.

إلى جيلي، والجيل الذي تلاه، والجيل الذي سيولد عما قليل أكثر يتما وفجيجة !

إلى الوطن الذي نحبه برغم كل شيء... ونعيش فيه برغم كل شيء! "(11).

إذا كان هذا الإهداء فيه من العبارات ما يتواءم مع المعطيات النظرية التي أتى بها جيران جينات من خلال دراسته له كأحد العتبات النصية\*\*، فإن ما يُهمنا نحن في هذا الإهداء هو الإحاطة بالبعد الدلالي للمفوض الوطن، والمتأمل للإهداء الذي صاغته ياسمينه صالح في روايتها يكتشف أنها جعلت من ملفوظ الوطن فضاء تتناسل فيها الكلمات لتبوح بحدة الوجد والألم الذي يسببه فقدان وطن باسم مسميات كثيرة، فالكاتبة تنطلق من لفظة الوطن وتحاول أن ترسم دلالات تنصّب كلها في حالات الانكسار والقهر والوجد لحال الوطن، لتُترج بالقارئ في عوالم شعورية مليئة بالاندهاش، والحيرة في أمر هذا الوطن الذي لا يتوافق مع مفهومنا الذهني للوطن، بحيث تنتاب القارئ حالة من الرغبة الشديدة في دخول النص السردي لفك شفرة اللغة التي جعلت من ملفوظ الوطن تنتقل "من البعد التخيلي الذي ينطوي عليه العنوان إلى بعد واقعي مرجعي تتضمنه صيغة الإهداء في الرواية" (12) عله يستطيع أن يجد مفهوما للوطن الذي أرادته الرواية.

### 3. المتن السردي

إذا كان كل من عتبة العنوان والإهداء قد أديا بالروائية إلى منح كلمة الوطن بعدا نفسيا يتحسسها القارئ في مكامن الدلالات المندسة في خبايا الصياغة اللفظية، فإن المتن السردي هو الآخر قد جاء ليعبر عن استثمار الكاتبة لمفوض الوطن بشكل ملفت للانتباه الشيء الذي يدعونا إلى البحث عن الأبعاد الدلالية لهذا التوظيف، وقبل أن نشرع في تحليل ملفوظ الوطن في الرواية يجدر بنا الإشارة إلى أن موضوع رواية (وطن من زجاج) يتناول الوطن، والذي حددته الكاتبة في بلدها -الجزائر- لتصفها في أشد مراحل تاريخها عنفا وسوداوية؛ حيث كان الموت آنذاك شيئا يتفق عليه الجميع، فجاءت رواية (وطن من زجاج) لتعبر عن واقع الجزائر في مرحلة التسعينات، وتعكس لنا عمق الألم النفسي الذي يسببه موضوع كهذا في نفسية الشخصيات المجسدة في الرواية، تقول آسيا موساوي عن الرواية "وطن من زجاج إدانة شجاعة للسلطة التي تخاذلت في الدفاع عن مواطنها البسطاء والفقراء في المداشر والقرى المدقعة وتركتهم فريسة للوحوش الآدمية التي أشبعت فيهم قتلا وتنكيلا" (13).

ولاشك أن اختيار الكاتبة الحديث عن الوطن في أوقات شتاته ووجعه، وانكساره أمام عنف الإرهاب قد جعل من الرواية تأخذ طابعا نفسيا ينساب مع توترات الذات، لتأتي اللغة

بانفعالية تمنح الكلمات دلالات عميقة، فلفظة الوطن التي كانت من أكثر الملفوظات حضورا وورودا في الرواية قد جاءت لتدعم الرؤية الدلالية التي أرادت الكاتبة أن تنقلها للقارئ تقول الكاتبة :

"أجل... ألم يكن الوطن جثة نتلمسها في حالات الخوف والبرد والبكاء. ألم يكن الوطن مقبرة يتكئ الناس على أسوارها. من يقتل من؟ لم يكن مهما معرفة من يقتل من منذ صارت الجريمة جماعية... منذ صار القاتل يقتاد القطيع إلى منصة الخطابة ليشرح لهم أصول الميئات الأغر، على القتل النمطي الذي يحول الجثة إلى شيء استثنائي وغير واضح المعالم... بحيث لن يكون ثمة بكاء على الجثث أكثر من البكاء على من يظل حيا منتظراً دوره...  
أأأأأه يا وطن!" (14).

ترتبط كلمة الوطن هنا بمعاني الفناء والعدم، وسكون الإحساس نتيجة الشتات والضياع الذي يعيشه الإنسان، وهو يجد نفسه في جو تسود فيه فوضى الموت والقتل الغير مبرر بذنب ليصبح الوطن مسلوبا من معانيه الإنسانية، والتي تُعطي للفرد حقه في الأمان والاستقرار وعبارة "أأأأأه يا وطن" تختصر حدة الوجد والالتم النفسي قبالة الوطن الذي ينزف أبنائه بعمق المعاناة الروحية والوجدانية الكبيرة، ويُصبح ملفوظ الوطن هنا يؤدي دلالات الحسرة والحزن على حال الوطن، وضياع القيم الفكرية والشعورية التي تشكل إحساسنا بهذا الوطن، بعد أن صار شيئا قابلا لأن يُداس عليه بكل الطرق وهُمان الإنسان بداخله.

تقول الكاتبة :

"أنا الذي وعدني الله بأرض أسكنها وبشارع لا أدخله خوفا من الرصاص وبمكان أجلس فيه سائلا عن صحة الوطن، ومترحما على روح الوطن وباكيا على جثمان الوطن" (15).

ليتحول الوطن هنا من مكان الأمان والسكون الروحي والجسدي، وأرض الانتماء إلى مكان الفوضى والعبث والخراب والخوف الذي يصبح معه الإنسان في حالة من القلق واليأس وفوضى الشعور بالوطن، لكن رغم أن الإزهاق قد يُساهم بشكل كبير في تشويه صورة الوطن في عين الإنسان، وتخريب شعوره به، إلا أن الشيء الأكيد هو أن الوطن يبقى يحتفظ بحقيقته الرمزية في ذات الإنسان، والتي تجعل من هذا الأخير يتجاوز قهره ومعاناته في وطنه، لأجل أن ينتصر لهذا الوطن الذي لا ينبغي بأي حال التخلي أو التنازل عنه.

تقول ياسمينه صالح :

"الوطن حقيقة يجب الإيمان بها يا بني. الوطن ليس رئيس الجمهورية وليس الحكومة وليس الغيلان السياسيين، ولا الجلادين ولا السجنائين ولا المنفيين ولا المفقودين ولا الخونة ولا الإرهابيين... الوطن هو ما تنتنفسه وما نستشعره... هو الأعشاب التي نمشي عليها والعصافير التي توقظنا في الصباح، والمطر الذي يباغتنا عن غير موعد والتحايا البسيطة التي لا نستوعب قيمتها إلا متأخرين" (16).

قد تبدو اللغة هنا بسيطة بحيث لا يصعب على القارئ فهم مرادفاتهما ولا الولوج إلى مكانن دلالاتهما، إلا أننا نجدها تتجاوب مع رهافة الحس الإنساني، وذوقه الشعوري الفني الذي لا يحكم على الأشياء بمنطق العقل والمادة، بل بمنطق الوجدان والجمال الروحي، ما جعل الكاتبة تُعطي للمفوز الوطن دلالات تنحو نحو معاني الحلم والأمل، والمثالية التي تنزع عن الوطن النظرة التي تمتلئ بالتشاؤم والحزن والوجع والقهر الذي خلفه تسلط وظلم الإرهاب، وتشحن كلمة الوطن بالايجابية التي تُضئ فضاء اللغة تاركة القارئ في محاولة لاستيعاب حقيقة الوطن، وفهم دلالاته التي جاءت لتخرج ملفوظ الوطن من "قيد التصور الذهني ويطلقها حرة معتقة تسبح في خيال المتلقي دون أن تحبسها قيود المعاني المتوارثة والسياقات التي تعاقبت عليها حتى قيدت حركتها" (17) وتجعل القارئ يتفكر في هذا الوطن الذي يأتي بسيطا وجميلا جمال القيم الإنسانية.

وخلص القول، أن رواية وطن من زجاج لياسمينه صالح قد عبرت بوضوح عن استثمار للوطن، فمن عنوانها الذي يغرينا ويستفز وعينا، وإدراكنا لحقيقة العلاقة بين الوطن والزجاج لنتساءل عن سر هذا الوطن الزجاجي ويدعوننا لقراءتها لنكتشف في الأخير أن هذا الزجاج ما هو إلا الإرهاب الذي شوه الجزائر وحرف كل قيم ومعاني الوطن ودمر شعورنا به، حتى يمكننا القول بأن رواية وطن من زجاج هي رواية جزائرية ووطنية بالدرجة الأولى، لأن القارئ لهذه الرواية سيكتشف قدرة الكاتبة على استحضار الوطن سواء كموضوع أو كملفوظ، وهذا الاستحضار سترافقه براعة الكاتبة في إخراج هذا الوطن من أذهاننا وتفكيرنا بكل مفاهيمه الذهنية والفكرية المجردة لتجعلنا نشعر به، ونعيشه أكثر مما نعيش فيه، لأنها تعطيه صفة إنسانية، فكأنه حاضر في ذاتنا نستشعر وجوده ونتحسس وجودنا الإنساني فيه.



## الهوامش

- \* ياسمينة صالح كاتبة وروائية من رواد الجيل الجديد في الجزائر من مواليد الجزائر العاصمة عام 1969 اشتهرت من خلال روايتها الأولى بحر الصمت الفائزة بجائزة مالك حداد الروائية (2001) التي نظمها الروائية الجزائرية الكبيرة أحلام مستغاني.
- أعمالها الأدبية في الرواية: بحر الصمت 2001، وطن من زجاج 2006، لخضر 2010؛ في القصة: أحزان امرأة من برج الميزان - قصة طويلة قريبة إلى الرواية 2001، وطن الكلام - مجموعة قصصية 2001، ما بعد الكلام - مجموعة قصصية 2003؛ في الترجمة: ناستالجيا (ترجمة أدبية/ طبعها على نفقتها الخاصة) 2001.
01. بن جمعة، بوشوشة. "جماليات بنية الخطاب السردى في رواية "تماسخت دم النسيان". مجلة التبيين، الجاحظية، الجزائر، عدد: 26، (2006)، ص: 31.
02. الفيروز أبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب، القاموس المحيط، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 2003، باب النون، فصل الواو، ص: 1141.
03. أنيس ابراهيم وآخرون، المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، القاهرة 1972، ج: 02، مادة وطن، ص: 1042.
04. بين حرية الوطن وحرية الجسد، حوار أدبي مع ياسمينة صالح، الموقع: <http://muntada.islamtoday.net>
05. بن بوزة سعيدة. "صورة المرأة في الرواية النسائية الجزائرية (عربيا)". مجلة المعنى، المركز الجامعي بخنشلة، العدد: 01، (2008)، ص: 247.
06. عبد الفتاح الحجري، عتبات النص: البنية والدلالة، شركة الرابطة، الدار البيضاء، ط: 01، 1996، ص: 17.
07. يعقوب ناصر. اللغة الشعرية وتجلياتها في الرواية العربية (1970-2000). المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت- لبنان، ط: 01، 2004، ص: 104.
08. فيدوح عبد القادر. شعرية القصص. ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1996، ص: 80.
09. الرواشدة سامح. منازل الحكاية- دراسات في الرواية العربية- دار الشروق، عمان- الأردن، ط: 01، 2006، ص: 135.
10. ينظر: عبد الحق بلعابد، عتبات (جيرار جنيت من النص إلى المناس)، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط: 01، 2008، ص: 99.
11. صالح ياسمينة. وطن من زجاج. منشورات الاختلاف، الجزائر، ط: 01، 2006، ص: 05.
- \*\*ومن هذه العبارات: إلى الذين رحلوا تاركين ذاكرتهم معنا، إلى الوطن الذي... المهدي إليه العام، وعبارة إلى جيلي، والجيل الذي تلاه... المهدي إليه الخاص. وهذا التحليل جاء بناء على المعطيات النظرية للإهداء عند جيرار جنيت الموجودة في كتاب عبد الحق بلعابد، عتبات (جيرار جنيت من النص إلى المناس)، ص: 97.
12. عبد الفتاح الحجري، عتبات النص: البنية والدلالة، ص: 28.
13. موساوي آسيا. رواية الجيل الجديد في الجزائر-الخصوصية والطموح- ضمن مهرجان العجيلي الثاني للرواية (خصوصية الرواية العربية). دار البناييع، دمشق، ط: 01، 2007، ص: 535.

